صورة الفُرس في "العِقد الفريد"

الدكتور جعفر دلشاد*

مريم جلائي**

الملخّص

يبدو للمتأمّل في "***العِقد الفريد***"، أنّ ابن عبد ربّه الأندلسي قد ألّف موسوعته الضخمة وما تشتمل عليه من ثقافة إسلاميّة ــ عربيّة ما يثير الإعجاب، وللمؤلِّف وقفات مع التّراث الفارسي وردت متفرقةً في ثنايا هذا السِّفر. ولو قدّر أن يأتي تعريف للفُرس وثقافتهم في كتاب أُلِّف في الشرق العربي لاعتبرنا هذا الأمر طبيعياً وذلك لمجاورتهم البلدان العربيّة وما يلازمه من صلات.

في حين أننا نشاهد أنّ المسافة الجغرافية والتباين التاريخي والثّقافي بين عرب الأندلس والفُرس لم يكونا حاجزاً من أن تصل أخبار من بلاد فارس إلى أقصى الغرب العربي لتظهر في هذه الموسوعة الفريدة، وما يتّصف به هذا الشعب من تراث. وقد تجلّت أقوال ملوكهم وحكمائهم وخاصة في عصر بني ساسان في هذا الأثر، ولعلّ هذا الأمر يرشدنا إلى رصد التّناص الأدبي، وإلى العلاقات التي كانت سائدةً عندئذٍ.

---

* – أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان، إيران.

** – طالبة الدكتوراه في قسم اللغة العربية بجامعة إصفهان، إيران. (maryamjalaei@gmail.com)

تاريخ الوصول:١٣٨٩/١٠/٢٠هـ.ش تاريخ القبول:١٣٩٠/٣/١٥هـ.ش

لقد حاولت هذه الدراسة جمع شتات ما ورد ذكره في "***العقد الفريد***"عن أدب ملوك الفُرس وحكمائهم كي تضع أمام القارئ صورة عن الفرس من خلال الأدب الأندلسي.

كلمات مفتاحية: ابن عبد ربّه، العِقد الفريد، الفُرس، الأدب الأندلسي.

المقدمة

الحمدُ لله الذي جَعَل اختلافَ الشعوب آيةً للنّاس لعلّهم يتذكّرون، والصّلاة والسّلام على النّبي العربي خاتم الأنبياء والمرسَلين محمّد صلّى اللهُ عليه وعلى آلِه الطاهرين.

من المسلّم به أنّ الأخذ والعطاء ناموس طبيعي يخضع له كل شعب له شيء من الاحتكاك بسائر الشعوب، ونظراً لكون العربية لغة الإسلام المبين، ولاعتناق جماعات كثيرة من مختلف الحضارات له، فقد أدّى هذا الأمر إلى التبادل الفكري والثقافي في الأدب العربي حتى صار يمّاً واسعاً تصبّ فيه روافدُ الثقافات الفارسية، واليونانية، والهندية وغيرها. فإماطة الحجاب عن هذه الروافد ستشكف عن جوانب من المتعة والأنس في نفوس الشعوب المختلفة.

ولا يخامرنا شك بأن العربية قد تأثرت بالفارسية وحضارتها الباهرة أكثر من سائر اللغات؛ حيث إنّها شكلّت جزءاً أساسياً من محصول العرب الثّقافي والفكري، فأسهم باحثون من كلا الشعبين في دراسة ظاهرة تأثير الأدب الفارسي في الأدب العربي ومداه، من الممكن الإشارة إلى كتاب «**تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي في العصر العباسي الأول**» لمؤلِّفه عيسى العاكوب، ومقالة عنوانها «**صورة الفُرس في كتاب البخلاء للجاحظ**» للدكتورة ماجدة حمود، و مقالة «**الأثر الفارسي في شعر البحتري**» للدكتور وحيد صبحي كبّابة.

ومن مثل هذه البحوث في إيران رسالة ماجستير عنوانها «**صورة الفُرس في ديوان أبي نواس**» قامت بإعدادها مريم أكبري بجامعة أصفهان. إلا أنه تبـيّن لنـا بعد قراءات متناثرة في الأدب الأندلسي أنه لم يقتصر التأثر على مشـرق العـالَم العربي وإنما وصل إلى أدباء المغرب العربي، وتنسّموا عبيرَ التواصل مع الثّقافـة الفارسية، ومنهم الأديب الشهير ابن عبد ربّه. فقدّم في موسوعته الكبيرة كنـزاً من الثّقافة الفارسية إلى نُشّاد العلم والمعرفة ليهذّبوا أذواقهم ويلوّنوا أدبهم بلون فارسي رائع. وللأسف قد أُهملت دراسة تأثير الأدب الفارسي في الأدب الأندلسي فلربمـا تعدّ هذه المقالة من المبادرات الأولى في مجال الدراسات المقارنة بين الأدبَين.

جدير بالذكر هنا أن معظم ما نُقل في *العقِد* من الأدب الفارسي يقع في نطـاق سير الملوك الساسانيين وحِكمهم ووصاياهم؛ لأن الفُرس يهتمّون بهـم منـذ قـديم الزمان. وخير دليل على هذا «هو بقاء العقيدة الزرادشتية ومحافظة معتنقيها علـى كيانهم ووجودهم ــ رغم ما حاق بهم من ضروب التنكيل والتشرد في كثيـر مـن الأوقات وهو يرجع فيما نعتقد إلى ما في هذه العقيدة من حكم ووصـايا ونصـائح منسوبة إلى الحكم الأزلي، انطوى عليها كتابهم المقدس (**الأفستا**) وما أضاف إليـه الشراح والمفسرون من إضافات وشروح.»[١]

لذا فإن هذا البحث سيلقي الضوء على صورة الفُرس في "***العقِد الفريد***" ليظهر مدى تأثر أدب ابن عبد ربّه بالحضارة الفارسية رُغم بُعد المسافة الجغرافية والتاريخية بين القُطرَين الفارسي والأندلسي العربي.

وقد نسّقنا السطور المبثوثة والأخبار المنقولة عن الفُرس في "***العقِد***" ووضـعنا عناوين لهذه الأخبار منها الوصايا، السياسة والحكمة الملوكية، الأخلاق والسـلوك، التوقيعات، والكتابة والبلاغة، لنكشف اللثام عن صـورة الفُـرس وجوانـب مـن المؤثّرات الفارسية على الثقافة الأندلسية متجلية في ثقافة ابن عبد ربّه.

---

[١] – العاكوب، *تأثير الحِكَم الفارسية في الأدب العربي في العصر العباسي الأول*، ص ٥٥ــ٥٦.

وفي نهاية المطاف، آمل أن يكون البحث نافعاً لأبناء الفُرس والعرب نظراً إلى تأثير الحكم في النفس الإنسانية عامةً والنفس الشرقية خاصةً، وأن يكون جسراً للمزيد من التلاقي للشعبين في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية، والسياسية، والثقافية.

١- الامتزاج العربي ــ الفارسي

قبل أن نتحدّث عن ملامح التجلّيات الفارسية في" ***العِقد الفريد***" نتيجة دمج الأمّتَين العربية والفارسية من قديم الزمان يجمُل بنا أن نعرض صورةً موجزةً لتاريخ الصلات القائمة بينهما. وإننا نختار الإيجاز في هذا المقام، والقارئ يستطيع الرجوع إلى المصادر الخاصة التي تتعلق بالموضوع إذا أراد المزيد من الاطّلاع.

لسنا نبالغ إذا قلنا إن العلاقات بين العرب والفُرس تعود إلى أبعد من التاريخ المدوَّن، إذ نجد إشارات في «الشاهنامة»، الملحمة الكبرى للفردوسي الشاعر الشهير الإيراني، وهي أقرب إلى الأساطير منها إلى الواقع، والكلام عنها يبدو من نافلة القول.

أما من العصر الساساني (٦٧٢ــ٢٢٦م) ــ وهو آخر العصور الفارسية قبل الفتح الإسلامي ــ فبين أيدينا شواهد تاريخية علمية بها تجعلنا نخلُد إلى شيءٍ من الاطمئنان فهي تذكر لنا أنه قد ازدادت العلاقات بينهما اتساعاً، ونرى جرجي زيدان يصرّح:

«وكان في مملكة فارس قبائل كثيرة من العرب، يقيمون على حدودها بين النهرين في العراق والجزيرة، وكانت لهم دولة عربية تحت رعايا الفُرس، وهم المَناذرة في الحيرة.»[١]

[١] –زيدان،جرجي، *تاريخ التمدن الإسلامي*، ج٤: ص ١٣٤.

ومن الطبيعي أنه كانت العلاقات بينهما ثنائيـــة، فقـــد «كـــانوا (أي الفُـــرس) يستخدمون العرب في دواوينهم للكتابة أو الترجمة بينهم وبين مَن يفد علـــى ملـــك الفُرس من عرب الحجاز أو اليمن أو نجد، وخصوصاً بعد أن دخلت الـــيمن فـــي حوزتهم على عهد **كسرى أنوشروان** وأشهر كتّاب العرب في دواوين الفُـــرس آل عدي بن زيد من المضرية.»[١] والتلاقي بين الشعبَين تجاوز حدود الأوساط السياسية إلى عامة الناس ونرى «كثيراً ما كان الفُرس يتعلّمون لغة العرب وينظمون الشعر العربي، حتى ملوكهم لم يكونوا يستنكفون من ذلك»[٢].

كما تسرّبت العلاقات بينهما إلى العلاقات الدينيـــة، والاعتقاديـــة؛ ينقـــل لنـــا المسعودي في كتابه "مروج الذَّهب" أنه: «قدكانت أسلاف الفُـــرس تقصـــد البيـــت الحرام، وتطوف به تعظيماً له ولجدِّها إبراهيم عليه السلام، وتمسكاً بهديه، وحفظـــاً لأنسابها»[٣].

وقد امتدَّ تلاقح الشعبين في العصور التالية من الفتح الإسلامي إلـــى أن بلـــغ ذروته في دولة بني العباس وقد صرّح الجاحظ بقوله: «إن دولـــة بنـــي العبـــاس أعجمية خراسانية ودولة بني مروان عربية أعرابية»[٤].

---

[١] –المصدر نفسه، ١٢٤.

[٢] – المصدر نفسه، ١٣٤.

[٣] – المسعودي، مروج الذهب، ص ٢٤٢.

[٤]– الجاحظ، *البيان والتبيين*، ص ٢٣٧ .

والحقيقة التي لايتطرق إليها شك هي أن مثل هذا النفوذ في هذا العصرلم يكن يحصل إلا تكريماً لنصيب الفُرس الأوفر في إنجاح الثورة العباسية على الأمـــويين، فانعقدت صلات ضاربة الجذور بين العرب والفُرس في المجالات المختلفة سياسياً، وثقافياً، واجتماعياً قلّما نرى مثيلها بين شعبَين أخريَين، ومن المسلم به نتيجة لهـــذا الامتزاج المتعدد الجوانب أن يتأثر بعضهما ببعض تأثراً نـــادر النظيـــر إذ نـــرى تجلياته في ما وصل إلينا من أدب العصر العباسي وعصوره التالية.

٢ــ إطلالة على عصر بني ساسان

قد وضع **أردشير** بن بابك سنة ٢٢٦ ميلادية حجرَ الأساس لدولة بني ساســـان واختار عنوان "ملك الملوك" لنفسه بعد أن غلب على دويلات الطوائف. وهذه الدولة قد عاشت أربعة قرون ونيّف، وازدهرت في هذا العصر مناحي الحياة؛ الاقتصادية، الاجتماعية، والسياسية.

كانت الديانة الزرادشتية ديانة عامة الفُرس في العصر الساساني إلـــى أن دخلت إيران الحظيرةَ الإسلامية بعد بزوغ فجر الإسلام المبين في الجزيرة العربية، وقد قوّض ملوك الأكاسرة أركانَ البدعتَين المشهورتَين المانوية والمزدكية احتفـــاءً بها.

لنقرأ ما جاء في كتاب كريستين سن هذا نصّه: «تكوّن النظام الساســـاني مـــن أربع طبقات وهي: طبقة رجال الدين، وطبقة رجال الحرب، طبقة الكتّاب[١]، وطبقة

[١] – هذه الطبقة لم تكن موجودة في الأنظمة السياسية السابقة للعصر الساساني، وقد أضافها

العامّة من الصنّاع والزرّاع.[١]» إلا أن ما وصل إلينا من مسلّمات الحديث والشهادات التاريخية يدّلنا على مكانة أرباب القلم المنفردة بهم، ولنصغ إلى قول القلقشندي الذي يبيّن لنا الأمر إذ يقول: «كانت ملوك الفُرس تقول: الكُتّاب نظام الأمور، وجَمال المُلك، وبهاء السلطان، وخُزّان أمواله، والأمناء على رعيته وبلاده، وهم أولى الناس بالحِباء والكرامة وأحقّهم بمحبّة السلام»[٢].

وصفوة القول أن ملوك آل ساسان قد جعلوا الكتّاب في مقام يُشار إليه بالبنان، وعاشوا عيشةً مفعمةً بالرغد والهناء في كنف الملوك الساسانيين وقد تهيّأ لهم ما احتاجوا إليه ليخلّفوا قسطاً وافراً من كتابات رائعة أفادت الحضارة الفارسية والحضارة العربية الإسلامية بصفةٍ عامةٍ في العصور التالية، وإن معظم التراث الفكري والأدبي الفارسي الذي تأثر به كبار الأدباء العرب يعود تاريخُه إلى العصر الساساني، وهو مدوَّن باللغة البهلوية الساسانية وقد تُرجمت مقتطفاتٌ منه إلى العربية في القرنَين الثاني والثالث الهجريَين.

٣ــ ابن عبد ربّه وعِقده

أبو عمر أحمد بن عبد ربّه قد نشأ بقرطبة و«كان في نشأته فقيراً خاملاً، فطلب العلم على شيوخ عصره في جامع المدينة، ومن أهم شيوخه بقي بن مخلد، وابن وضّاح، والخشني»[٣]. فتلقّى منهم اللغة، والأخبار، والسير وادّخرها في" ***العقِد***"

الأكاسرة إلى الطبقات الثلاث وهذا يدلنا على اهتمامهم البالغ بالكتابة وأصحابها.

[١] – كريستين سن، ايران در زمان ساسانيان، ص١٥٠.

[٢] – القلقشندي، صبح الأعشي في صناعة الإنشاء، ص ٤٤.

[٣]– عباس، احسان، *تاريخ الأدب الأندلسي*، عصر سيادة القرطبة،ص ١٨٣.

وخلّفها للأجيال التالية قاصداً لها العبرة الحسنة والتهذيب الخُلُقي، وما يلفت انتباه القراء هو أنّ القسم الأوفى والأوفر من الكتاب يتعلّق بالشرق حتى قال عنه الصاحب بن عبّاد (ت ٣٨٥هـ) عندما شاهد هذا الكتاب، جملته المشهورة: «هذه بضاعتنا رُدّت إلينا، ظننتُ أن هذا الكتاب يشتمل على شيءٍ من أخبار بلادهم وإنما هو مشتمل على أخبار بلادنا ولا حاجة لنا فيه»[١].

أما طريقة ابن عبد ربّه في تأليف" ***العِقد*** " فإنه قد حذا حذوَ ابن قتيبة في عيون الأخبار وقد جمع مادة كتابه من مصادر مختلفة من دواوين الشعراء، ومؤلَّفات الكبار العرب، والكتب السماوية. واعتبره محققون كثيرون بمثابة موسوعة أدبية قد اجتمعت فيه أصناف العلوم والآداب في عصره. وقسّم المؤلف كتابه إلى خمسة وعشرين قسماً سمّاها بأسماء الجواهر وجعل هذه الجواهر متناظرة كحبّات العِقد، و«العنوان "***العِقد الفريد***" تطوّر متأخّر زاد فيه كلمة "الفريد" أحد المطالعين أو الناشرين»[٢].

٤ــ التجلّيات الفارسية في "*العِقد الفريد*"

أشرنا سابقاً أن للحضارة الفارسية تأثيرات ملفتة الانتباه في مختلف أجزاء "***العقد الفريد***" والتي قادنا إلى البحث عن مختلف جوانبها، فمن أبرز التجليات الفارسية في "***العقد***" يمكن الإشارة إلى ما يلي:

---

[١] – فروخ، عمر، *تاريخ الأدب العربي*، ص ٢١٢.

[٢]– *المصدر نفسه*، ص٢١٢.

أ-الوصايا

إن الوصايا الحكمية كانت موضع اهتمام النفس الشرقية إذ احتلّت حيّزاً كبيراً من الأدبَين الفارسي والعربي منذ أقدم الأزمنة، وهي تنطوي على ما يُخرجه أديبٌ حكيمٌ للناس من دروس وعِظات قد حصل عليها الشخص الحكيم خلال حياته ليستفيدوا منها في خضم الحياة.

ودولة آل ساسان ــ كما أسلفنا الحديث عنها ــ أسّست على يد ملوك من الحكماء، فخلّف كتّاب البلاط قدراً هائلاً من وصايا توجَّه بها ملك إلى ابنه أو إلى ملك أعقبه أو إلى الوزراء والأجيال اللاحقة.

وقد أتى ابن عبد ربّه بشذرات منها في أثره الخالد، منها وصايا **أردشير بن بابك** (٢٢٦-٢٣٩م) وهو كما أسلفنا القول عنه يرجع إليه فضل إقامة الصرح الساساني، وهو أعظم الملوك الساسانيين حكمةً وسياسةً، وكان أبرز ملوك الفُرس في الميل إلى العلم، وتشجيع الترجمة والتأليف. نتيجة لذلك فقد احتفى به الكتّاب والمؤرخون احتفاءً منقطع النظير ويمكن القول إن أغلب ما نسب إلى **أردشير** من حكم ووصايا ونصائح في المصادر العربية له نصيب من الصحة والحقيقة من حيث انتسابه إليه. فالمعتقد أنه كان هناك أكثر من كتاب ساساني يتصل بشخصية **أردشير** وأعماله، وقد أتيح لأدباء العرب ومؤرخيهم أن يطلعوا عليه في العصر العباسي الأول. وأشهر هذه الكتب هو "**كارنامك أردشير**" الذي كُتب قريباً من سنة ٦٠٠ م؛ والذي يُعدّ بحق مصدراً لما في الشاهنامة والكتب العربية عن **أردشير**.[١]

[١] _ العاكوب، *تأثير الحِكَم الفارسية في الأدب العربي في العصر العباسي الأول*، ص ٨٧ .

ومن وصاياه التي يمكن الإشارة إليها وصيته المفعمة بالحكمة إلى ابنه إذ يقول: « إن المُلك والعدل أخوان لا غنى بأحدهما عن الآخر، فالمُلك أسٌّ والعدل حارس. والبناء ما لم يكن له أسٌّ فمهدوم، والملك ما لم يكن له حارس فضائع.

يا بني، اجعل حديثك مع أهل المراتب، وعطّيتك لأهل الجهاد، وبشرك لأهل الدين، وسِرُّك لمن عناه ما عناك من ذوي العقول».[١]

ولابن عبد ربّه موقف آخر من بيان حسن السياسة وإقامة العدل في المملكة مشيراً إلى **أبرويز**(٥٩٠ــ ٦٢٨م). و **أبرويز** هذا هو كسرى الثاني حفيد **كسرى أنوشروان**، الذي تمّ احتفال تتويجه في "***تيسفون***" عاصمة "***إيرانشهر***" وله مكانة منقطعة النظير في دولة آل ساسان، والواقع أن معظم الروايات المفصلة عن عظمة البلاد الساسانية والتي يذكرها القدماء من العرب والفُرس تعني عصر كسرى الثاني.

«إنه لُقّب في عصره بـ "**أبرويز**" بمعنى الفاتح ولاشك أنه قد لُقّب به تمجيداً لانتصاراته الكبيرة في الحروب.»[٢]

أبرويز الحكيم يوصي ابنه **شيرويه** قائلاً:

---

[١] ــ ابن عبد ربّه، *العقد الفريد*، ج١:ص ٢٦.

[٢] – *داهيم، خسرو پرويز در جنگهای بيست وهفت ساله ايران وروم، ص١٠ .*

« لا توسعنَّ على جندك سَعةً يستغنون بها عنك، ولا تضيقنَّ عليهم ضيقاً يضجّون به منه، ولكن أعطهم عطاءً قصداً، وامنعهم منعاً جميلاً، وابسط فأكثرت التعجب»[١]. كما أنه يوصيه بأن يتّخذ العدل والنصفة نهجاً له قائلاً:

« اعلم أنَّ كلمةً مِنكَ تسفك دماءً، وأخرى منك تحقن دماءً، وأن سخطك سيفٌ مسلولٌ على من سخطتَ عليه، وإن رضاك بركةٌ مستفيضةٌ على من رضيت عنه، وأن نفاذ أمرك مع ظهور كلامك. فاحترس في غضبك من قولك أن يخطئ، ومن لونك أن يتغير، ومن جسدك أن يخف؛ فإن الملوك تعاقب حذراً وتعفو حلماً. واعلم أنك تجل من الغضب، وأن ملكك يصغر عن رضاك، فقدر لسخطك من العقاب، كما تقدر لرضاك من الثواب.»[٢]

كما يبدو من كلامه أنه يوصي ابنه بما يجدر بالملوك أن يتزيّنوا به في أعمالهم السياسية ويؤكدّ خاصةً على العدالة والقصد في كل الأحوال.

ومن الوصايا الساسانية قول **كسرى أنوشروان** إلى مرازبة خراسان حيث يقول: «عليكم بأهل السخاء والشجاعة، فإنهم أهل حسن الظن بالله تعالى.»[٣]

و**كسرى** (٥٣١ – ٥٧٩م) هذا وهو المعروف في التاريخ بلقب **أنوشروان**[١] يعتَبر احتواءه على عرش إيران مبدأً وافتتاحاً لأزهى عصر من عصور الدولة الساسانية.[٢]

---

[١] – *المصدر نفسه*، ج١: ٢٨.

[٢] – *المصدر نفسه*، الصفحة نفسها.

[٣] –*المصدر نفسه.*

إذن هذه أقوال وحكم كثيرة تتصل بحياته وسياسته وعدله وقد تصوّره لنا الروايات الشرقية مثالاً للحاكم العدل، فالكتّاب العرب والفُرس يروون لنا حكايات كثيرة في وصف جهده ومحاولته لصيانة العدالة والمساواة.[٣]

كما يحدّثنا عنه الثعالبي في قوله: « إنه لم يكن في الأكاسرة بعد **أردشير** الذي له فضيلة السبق أعدل من **أنوشروان** فلذلك ضُرب المثل به في العدل من بينهم. وهو الذي وُلد النّبي (ص) في زمانه لتسع سنين خلت من مُلكه، وافتخر عليه الصلاة والسلام بذلك وقال: ولدتُ في زمن الملك العادل»[٤].

وصفوة القول إنه عَلَم من أعلام الحكمة في الأدبين الفارسي والعربي.

ومن الطبيعي أن يكون ثمة وزراء من أهل العلم والأدب إلى جانب الملوك الساسانيين يؤزرونهم في تدبير المملكة وسيادتها؛ فمن أكثرهم شهرةً في الكتب التاريخية الحكيم الكبير **بزرجمهر** الذي احتلَّ مكانة الصَّدارة في حكم الحكماء الفُرس ربما يعادل مكانة لقمان الحكيم لدى أبناء العرب.

«إن **بزرجمهر**[٥] هذا كان وزيراً **لكسرى أنوشروان** وهو الذي قتله وذلك أن **بزرجمهر** ترك المجوسية ورجع إلى دين عيسى بن مريم ودان به فقتله كسرى

---

[١] – أنوشروان: الروح الخالدة.

[٢] – كريستين سن، ايرانيان در زمان ساسانيان، ص٤٨٤.

[٣] – المصدرنفسه، ٤٩٦.

[٤]– الثعالبي، ثمار القبوب في المضاف والمنسوب،ص ١٦٥ .

[٥] ــ « نسبت إلى بزرجمهر أساطير كثيرة وربما هي كتبت محاكاةً عن أساطير أحيقر (Ahigar)فاسترعى انتباه المسلمين في القرون الإسلامية الوسطى، نظن ظناً قوياً أن تكون هذه

لذلك.»[١] وله قضايا وحكم ومواعظ بين أيدي الناس و«يعتبر ***بندنامغ بزركمهر*** **(نصائح بزرجمهر)** أشهر مثال لأدب النصح لوناً من الانتاج تميزت به العبقرية الإيرانية وكان له أكبر الأثر على آداب الإسلام التي ظهرت من بعده.»[٢]

ومن الطبيعي ألا يهمل ابن عبد ربّه وصايا **بزرجمهر** إلى الناس، فيذكر منها قوله: « ما ورَّث الآباءُ الابناءَ شيئاً خيراً من الأدب، لأنّ بالأدب يكْسِبون المال، وبالجهل يُتْلفونه»[٣].

وهذه الوصية المنقولة عن الحكيم الكبير **بزرجمهر** تكفينا في اعتباره من أعلام الحكمة.

ومن وصاياه التي عثر عليها في آثاره بعد مقتله هي العبارة التالية: « إذا كان الغدرُ في الناس طِبَاعاً فالثقة بالناس عَجز، وإذا كان القَدَر حقّاً فالحِرص باطل، وإذا كان المَوت راصداً فالطمأنينة حُمق»[٤].

ويروى عنه في مدح الكرم وذم البخل: « إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فإنها لا تفنى، وإذا أدبرت عنك فأنفق منها فإنها لا تبقى».[٥]

الشخصية الشهيرة التي لحق اسمه بقصة وضع النرد في إيران نفس برزوية الطبيب». كريستين سن، ايرانيان در زمان ساسانيان، ص ٩٦

[١] _ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ص ٣٢٨

[٢] _ العاكوب،تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي في العصر العباسي الأول، ص ٥٨

[٣] _ ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج٢: ١٠٩

[٤] _ *المصدر نفسه*، ١٠٩

[٥] _ *المصدر نفسه*، ٢٨.

في صدد فضل الصّداقة على القرابة يروى عنه: «قيل لـــ **بزرجمهر** مَن أحبُّ إليك، أخوك أو صديقك؟ فقال: ما أُحبُّ أخي إلا إذا كان صديقاً»[١].

وقد اقتبس ابن عبد ربّه ما حكي عن الحكماء، مثل **سلمان الفارسي** الصحابي الكبير. «سلمان أبو عبدالله الفارسي الرامهرمزي الأصبهاني[٢] سابق الفُـــرس إلـــى الإسلام، وصحب النبي (ص) وخدمه»[٣].

وهو من قال النبي فيه يوم الأحزاب: «سلمان منّا أهل البيت»[٤]. وذاع صـــيته في الحكمة وسداد الرأي وعمق التفكير، وقيل إنه هو الذي أشار بحفر الخندق وكان له فيه فضل عمل.

ويدلّنا على حكمته الغزيرة قوله الموجز في الاقتصاد في الأمور العامة فإنهـــا داعية للدوام والاستمرار، والمقصد له فضل السبق في ذلك، عندما يقول: «القصـــدَ والدوامَ فأنت الجواد السابق»[٥].

ولا يخفى على أحد أن القصد والدوام يُطلَق عليه حديثاً مصطلح «التكامل والتدريج» وهو أساس لكثير من نظريات علم الاجتماع ومستجداته الحديثة؛ إذ يعتقد علماء الاجتماع أنه لاينال المجتمع ما يتوخّى من الرُّقي والازدهار إلا عندما يسير مختلف أنظمته وأجزاءه تجاه التكامل تدريجياً وخطوةً خطوةً.

---

[١] _ *ابن عبد ربّه، العقد الفريد،ج٢ :ص ٥٠.*

[٢] ــ يقال إنه من منطقة "جي" بأصبهان، ويقال من رامهرمز.

[٣] _ *الصفدي، الوافي بالوفيات، ص ٣٠٩.*

[٤] _ *الحاكم، المستدرك علي الصحيحين، ج٣ :ص ٥٩٨.*

[٥] _ *ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج٢، ص ٨٠.*

ب- السياسة والحكمة الملوكية

لاشك بأن بلاد فارس قد اتسمت من العصور الغابرة بسمة التنظيمات السياسية، والاجتماعية، والعسكرية، قلما نجد مثيلها في البلدان الأخرى، وقد وصلت ذروتها في دولة آل ساسان، إلى أن اشتهر ساستها بسداد الرأي وحسن السياسة في القضايا الدائرة في فلك رعاياهم ومملكتهم وكانوا من أعلام الحكماء والمهتمين بالحِكَم ليعملوا بمقتضاها، ويؤكد على هذا الادّعاء ما نقل عن **أنوشروان** إذ يقول: «القلوب تحتاج إلى أقواتها من الحكمة كاحتياج الأبدان إلى أقواتها من الغذاء[١]».

أما بالنسبة إلى العرب الذين كانوا يعيشون _ قبل اعتناقها الإسلام المبين _ في القفار والفيافي دون أن يسودهم نظام سياسي بمعناه المعروف في علم السياسة، فقد كانت تعوزهم تجارب الفُرس وخبراتهم السياسية والاجتماعية في العصر العباسي.

لذا نرى بعد الفتح الإسلامي لفارس والنفوذ الفارسي في البلاط العربي، وذلك بأن يقوم العرب بأخذ ما كان عند الفُرس من تجارب لتغطّي فجوتها في سياسة العباد وعمارة الرقعة الإسلامية المترامية الأطراف؛ لذا نجد ترجمة «سيرة **سابور بن أردشير** المعروف بسابور الجنود، وقصته مع ملك الحضر وابنته النضيرة وسيرة سابور ذي الأكتاف وبهرام كور ربيب المناذرة، **وكسرى أنوشروان**

[١] ــ المبرّد، *الكامل في اللغة والأدب*، ٤٥٧ وربما تأثر الإمام علي (ع) بحكمته إذ يقول:
«إنّ هذه القلوب تَمَلّ كما تَمَلّ الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة.» (الإمام علي، *نهج البلاغة*، الحكمة ١٩٧: ١٠٤٨)

ووزيره **بزرجمهر** القصص البهلوية، وسير الملوك بصفة عامة، قد أضافت إلى قصص العرب ثروةً كبيرةً زادت الأدب العربي غنى واتساعاً»[١].

وصفوة القول أن العرب قد وجدت ضالتها المنشودة في السياسة الملوكية عند الفُرس إذ بادرت إلى ترجمة الحكم الملوكية إلى العربية واقتباسها في أعمالها الأدبية.

أما بالنسبة إلى "***العِقد الفريد***" فيجد الباحث قسماً مما نقل فيه من الأدب الفارسي الساساني، يقع في نطاق الحِكَم ذات الصلة بالسياسة الملوكية إلا أنه أحياناً لا يشير إلى الملك الحكيم الذي رويت عنه الحكمة كما لا يشير إلى مصدر الرواية الفارسي، كما نلاحظ في الرواية التالية:

« وذكروا أن ملكاً من ملوك العجم كان معروفاً ببعد الغور ويقظة الفطنة وحسن السياسة، وكان إذا أراد محاربة ملك من الملوك وجه إليه من يبحث عن أخباره وأخبار رعيته قبل أن يظهر إلى محاربته، فيكشف عن ثلاث خصال من حاله، فكان يقول لعيونه[٢]: انظروا هل ترد على الملك أخبار رعيته على حقائقها أم يخدعه عنها المهدي ذلك إليه؟ وانظروا إلى الغَني في أي صنف هو من رعيته، أفيمن اشتدَّ أنفه وقلَّ شرهه أم فيمن قلَّ أنفه واشتدَّ شرهه؟ وانظروا في أي صنفي رعيته القوام بأمره؟ أفيمن نظر ليومه وغده أم من شغله يومه عن غده؟ فإن قيل له لا يخدع عن أخبار رعيته، والغني فيمن قل شرهه واشتد أنفه، والقوام بأمره من نظر ليومه وغده؛ قال: اشتغلوا عنه بغيره. وإن قيل له ضد ذلك؛ قال: نار كامنة

---

[١] ـ بدوي، *صلات بين أدبي الفرس والعرب*، ص ٨٦ .

[٢] ـ جواسيسه.

تنتظر موقداً، وأضغان مزملة تنتظر مخرجاً، اقصدوا له فلا حين أحيَن من سلامة مع تضييع، ولا عدو أعدى من أمن أدى إلى اغترار»[١].

كما نستنتج من كلامه أنه كان ملكاً ذا حزمٍ وصلابةٍ وآراء صائبة لا يقوم بالحرب دون تدبيرٍ كي يحصل على نجاح أكثر. إنه ملك يعرف القطاعات المختلفة للمجتمع الإنساني وأحوالهم المتباينة، وهو كطبيب يقوم بباثولوجيا أجساد المجتمعات فبإمكانه أن يدرك جيّداً أي مجتمع قد أُصيب بالضعف والانهيار، ولايستطيع الصمود أمام شنّ أعدائه.

وأحياناً يذكر اسم الملك الفارسي، على سبيل المثال في صدد ما يصحب به السلطان يقول: « وقال **أبرويز** لصاحب بيت المال: إني لا أعذرك في خيانة درهم عليّ وأن لا أحمدك على صيانة ألف ألف: لأنك إنما تحقن بذلك دمك وتقيم أمانتك، فإن خنت قليلاً خنت كثيراً. واحترس من خصلتين: النقصان فيما تأخذ، والزيادة فيما تعطى. واعلم أني لم أجعلك على ذخائر الملك وعماد المملكة والقوة على العدو، إلا وأنت عندي آمن من موضعه الذي هو فيه، وخواتمه التي هي عليه، فحقّق ظنّي باختياري إياك أحقق ظنك في رجائك إياي. ولا تتعوض بخير شراً، ولا برفعة ضعة، ولا بسلامة ندامة، ولا بأمانة خيانة»[٢].

يكفينا قولُه هذا في اعتباره ملكاً حكيماً لايبخل على بطانته بإرشاداته القيّمة والبنّاءة في القيام بوظائفهم الحكومية بدقةٍ وأمانةٍ.

---

[١] _ ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج١،ص ٧٨.

[٢] _ *المصدر نفسه*، ٢٢.

كما يوصي ابنه **شيرويه** في اختيار بطانته إذ يقول:

«وليكن من تختاره لولايتك امرءً كان في ضعة فرفعته، أو ذا شرف كان مهملاً فاصطنعته. ولا تجعله امرءً أصبته بعقوبة فاتضع لها، ولا امرءً أطاعك بعد ما أذللته، ولا أحداً ممن يقع في قلبك أن إزالة سلطانك أحب إليه من ثبوته. وإياك أن تستعمله ضرعاً غمراً كثيراً إعجابه بنفسه، قليلاً تجربته في غيره؛ ولا كبيراً مدبراً قد أخذ الدهر من عقله، كما أخذت السن من جسمه.[١]»

وحول ما كان عليه **أردشير**، مؤسس دولة الأكاسرة، من حكمة وتدبّر يذكر لنا ابن عبد ربّه الرواية التالية:

«قيل لـ**أردشير**: الأدب أغلب أم الطبيعة؟ فقال: الأدب زيادة في العقل ومنبهة للرأي، ومكسبة للصواب، والطبيعة أملك لأن بها الاعتقاد وبها الفراسة وتمام الغذاء.[٢]»

وأما الموبذان – وهو العالِم ورجل الدين بالفارسية – فله شأن رفيع عند الأكاسرة حيث هو حكيم يحاول المَلك أن يستفيد من بحر حكمته مهما سنحت فرصةٌ. والرواية التالية ترشدنا إلى ما قلنا:

«قال **أنوشروان** للموبذان: ما كان أفضل الأشياء؟ قال: الطبيعة النقية تكتفي من الأدب بالرائحة ومن العلم بالإشارة وكما يموت البذر في السباخ[١] كذلك تموت الحكمة بموت الطبيعة. قال له: صدقت ونحن لهذا قلّدناك ما قلّدناك.[٢]»

---

[١] _ *المصدر نفسه*، ٢٨ .

[٢] _ *المصدر نفسه*، ج٢: ١٠٩.

مما نقله ابن عبد ربّه عن الحِكم الملوكية والسياسة عند الأكاسرة يتّضح أن ملوك الفُرس، لدى الأندلسيين، يتسمون بالحكمة والعدالة وبُعد الغور. ومن جانب آخر لا يخفى على أحد أن هذه الصفات في الملوك تُسعد الرعية وتبعث فيها إشراقة الأمل والحيوية.

ج –حسن المعاشرة والسلوك

ومما ورد ذكره في "***العقد الفريد***" عن مميزات الشعب الفارسي بصفةٍ عامةٍ وملوكهم خاصةً الطقوس الشائعة آنذاك مشيراً إلى وحدة الصف والابتعاد عن التفرقة والتشتت نقلاً عن حبيب الطائي:

«وقد كان المحلق بن حَنْتَم بن شدَّاد خاملاً لا يذكر، حتى طَرقه الأعشى في فِتية وليس عنده إلا ناقة. فأتى أمَّه، فقال: إنّ فتية طَرقونا الليلة، فإنْ رأيتِ أن تأذني في نَحر الناقة؟ قالت: نعم يا بُني. فنَحرها واشترى لهم ببعض لحمها شراباً وشَوى لهم بعضَ لحمها. فأصبح الأعشى ومَن معه غادِين. فلم يَشْعر المحلّق حتى أتته القصيدةُ التي أولها:

أَرِقتُ وما هذا السُّهاد المُؤرّقُ وما بِيَ من سُقْم وما بي مَعشَقُ

وفيها يقول:

---

[١] ــ أرض مالحة التربة.

[٢] _ *المصدر نفسه*، ص١٠٩.

لَعْمري لقد لاحتْ عيون كثيرة إلى ضَوء نار في يَفاع تَحرَّقُ
تُشَبّ لمَقْرورَيْن يَصْطليانها وبات على النار النَدى والمحلّق[١]
رَضِيعي لَبانٍ ثَدْيَ أمّ تقَاسما بأسْحمَ داجٍ عوْضُ لا نتَفرّق[٢]
ترى الجُود يَسْرِي سائلاً فوق وَجهه كما زان مَتْن الهُنْدوانيّ رَونق

فلما أتته القصيدة جعلت الأشراف تخطب إليه، ويقول القائل: وبات على النّار النّدى والمحلَّق وقوله تقاسما بأسحم داج. يقول: تحالقا على الرّماد، وهذا شيء تفعله الفُرس لئلا يفترقوا أبدا».[٣]

لأبيات الأعشى قصةٌ ومغزى، فالقصة ذكرها كل من تناول هذه الأبيات.

أما المغزى فيتعلّق بطقوس الأمم أثناء تحالفهم وتعاهدهم؛ فالعرب كانت تتعاهد في جاهليتها على النار وبغمس الأيدي في الدّماء، وأضاف صاحب الخزانة إلى أن العرب كانت تتعاهد على التراب نقلاً عن ابن السيد البَطَليوسي[٤].

وقد زاد صاحب ***العقد الفريد*** فقال بأن الفرس كانت تتحالف على الرماد، وهو ما لم أجد له دليلاً لدى غيره.

ومن السنن التي كانت شائعة بين الفُرس آنذاك يشير ابن عبد ربّه إلى تقبيل يد الملوك كما كان يفعله العرب وكيف يميط المؤلف اللثام عن نياتهم المختلفـــة وراء فعلهم المشترك هذا بقوله؛

---

[١] – المقرور: الذي يرتجف من البرد. اصطلى: تدفأ.
[٢] – أسحم: شديد السواد. عوضُ: (يبنى على الكسر،والفتح، والضم) الدهر.
[٣] – *المصدر نفسه*، ج٥: ٢٠٥-٢٠٦.
[٤] _ *البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية، ج٣، ص ٢١٢.*

«دخل رجل على هشام بن عبد الملك فقبَّل يده؛ فقال: أف له، إن العرب ما قبَّلت الأيدي إلا هلوعاً، ولا فعلته العجم إلا خضوعاً»[١].

وذكر ابن عبد ربّه ما كان رائجاً بين الفُرس في تقسيمها دهرها كله إلى أربعة أيام مشيراً إلى طبائع الإنسان؛ «ونحن قائلون بعون الله وتوفيه في طبائع الإنسان وسائر الحيوان، وتفاضل البلدان، والنعمة والسرور، إذ لم يكن مدار الدنيا إلا عليها، ولا قوام الأبدان إلا بها، وإذ هي ثمرة الفراسة، وتركيب الغريزة، واختلاف الهمم، وطيب الشيم، وتفاضل الطعوم. وقد تكلَّم الناس في النعمة والسرور على تباين أحوالهم، واختلاف هممهم، وتفاوت عقولهم، وما يجانس كل رجل منهم في طبعه، ويؤالفه في نفسه، ويميل إليه في وهمه. وإنما اختلف الناس في هذا المذهب لاختلاف أنفسهم، فمنهم من نفسه غضبية، فإنما همُّه منافسة الأكفاء، ومغالبة الأقران، ومكاثرة العشيرة. ومنهم من نفسه ملكية فإنما همُّه التفنن في العلوم، وإدراك الحقائق، والنظر في العواقب. ومنهم من نفسه بهيمية، فإنما همُّه طلب الراحة، وإهمال النفس على الشهوة من الطعام والشراب والنكاح، وعلى هذه الطبيعة البهيمية قسَّمت الفُرس دهرها كله، فقالوا: يوم المطر للشرب، ويوم الريح للنوم، ويوم الدجن للصيد، ويوم الصحو للجلوس. وهي أغلب الطبائع على الإنسان، لأخذها بمجامع هواه، وإيثار الراحة، وقلة العمل»[٢].

---

[١] _ *المصدر نفسه*، ج٢: ١٣٢.

[٢] _ *المصدر نفسه*، ج٦: ١٧١.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الفُرس من قديم الزمان ميّالون إلى الإفـــراط فـــي الشراب، حتى وصفهم بعض المستشرقين، منهم هرودوت بالإمعان في ذلك والغلوّ فيه.[١]

وما يؤيّد هذا الرأي قول حمزة الإصفهاني حيث يقول: «إن بهرام جور أمـــر الناس أن يعملوا من كل يوم نصفَه ثم يستريحوا ويتوافرو ا على الأكل والشـــراب واللهو، وأن يشربوا على سماع الغناء فعزّ المغنّون.»[٢]

وأما رياضة الصيد فكانت عند الفُرس من الهوايات المحبّبة التي كانت تحظى باهتمام عظيم، و«كان لهم شأن في تربية الجوارح وتضريتها وإتقان فنون الصـــيد ويحكون أن أول من صاد بالبازي كان ملكاً فارسياً»[٣].

وعن أخلاق وسير العجم وملوكهم يُلفت ابن عبد ربّه انتباه القارئ في "***العِقـــد***" إلى فن الخطابة السائر في العصر الساساني، ويرسم ملامحه من خـــلال الروايـــة التالية عن **أردشير بن يزدجرد** إذ يقول: «في سير العجم أن **أردشير بن يزدجرد** لما استوثق له أمره، جمع الناس، فخطبهم خطبةً حضَّهم فيها على الألفـــة والطاعـــة، وحذّرهم المعصية ومفارقة الجماعة، وصنف لهم الناس أربعة أصناف، فخروا لـــه سجداً. وتكلَّم متكلّمهم، فقال: لا زلت أيها الملك محبواً من الله بعز النصـــر، ودرك الأمل، ودوام العافية، وتمام النعمة، وحسن المزيد؛ ولا زلت تتابع لديك المكرمات، وتشفع إليك الذمامات حتى تبلغ الغاية التي يؤمن زوالها، ولا تنقطع زهرتها، فـــي

---

[١] _ *هرودوت، تاريخ هرودوت، ص ١٠٥.*

[٢] _ *الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض و الأنبياء، ص٤٣.*

[٣] _ *خسروي، شعر شكار در ادب عربى با نگاهى به شعر نخجيرگانى فارسى، ص ١٩و٢٠.*

دار القرار التي أعدها الله لنظرائك من أهل الزلفى عنده، والحظوة لديه؛ ولا زال مُلكك وسلطانك باقيَين بقاءَ الشمس والقمر، زائدين زيادة البحور والأنهار، حتى تستوي أقطار الأرض كلها في علوك عليها، ونفاذ أمرك فيها»[١].

وبعد أن ينتهي من الدعاء له يصف العدالة الإجتماعية حينئذٍ وكيف أنها انتشرت بواسطة هذا الملك إذ يقول: «فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما عمَّنا عمومَ ضياء الصبح، ووصل إلينا من عظيم رأفتك ما اتَّصل بأنفسنا اتصالَ النسيم، فأصبحت قد جمع الله بك الأيادي بعد افتراقها، وألفَّ بين القلوب بعد تباغضها، وأذهب عنا الإحن والحسائف بعد توقد نيرانها، بفضلك الذي لا يدرَك بوصف، ولا يُحدُّ بنعت. فقال أردشير: طوبى للممدوح مستحقاً؛ وللداعي إذا كان للإجابة أهلاً»[٢].

الملفت للنظر في الرواية السابقة هو أن الملك الحكيم **أردشير بن يزجرد** كان يحثّ الناس على أن يشدّدوا أواصر المودّة والمحبّة بينهم ويبتعدوا عن التفرقة والتشتت، إذ أن التفرقة تسوق الشعب إلى الانهيار والهلاك، والألفة بينهم لاتتحقق إلا بخضوعهم أمام أوامر ملك يتّصف بالحكمة وسداد الرأي.

د-التوقيعات

إن نظام التوقيع نظام فارسي قد أخذته العرب من الفُرس في العصر العباسي الأول ويوضح ابن قتيبة ماهيته حيث يقول: «كان **أنوشروان** إذا ولّى رجلاً أمر الكاتب أن يدع في العهد موضع أربعة أسطر ليوقّع فيه بخطه.»[٣]

---

[١] _ ابن عبد ربّه، *العقد الفريد*،ج١، ص ٢٣٢.

[٢] _ *المصدر نفسه*، ص ٢٣٢.

[٣] _ ابن قتيبة، *عيون الأخبار*، ج١، ص ٨.

والدافع إلى هذا الأمر كان « أن رعايا الدولة في الولايات والأمصار إذ تعرّضوا للمظالم فلم يكن بُدّ لهم إلا أن يلجأوا إلى مرجع أعلى في الدولة من خليفةٍ أو أميرٍ أو وزيرٍ. وقد جرت العادة في العصر الساساني أن تكتب تفاصيل الشكوى في ورقةٍ تسمّى أحياناً رقعةً تشبيهاً برقعة الثوب من حيث صغر حجمها. والرئيس كان يكتب تحت قصة الشاكي رأيه بأوجز لفظ وأقصر تعبير وتسمّى كتابته تلك توقيعاً.»[١]

ولهذه التوقيعات أهمية بالغة في الأدب، إذ إنه كان يكتبها كبار الكتّاب الساسانيين وهم محاولون في اختيار أجمل الألفاظ و أفضل الأساليب.

ومن توقيعات عهد الأكاسرة نقل منها ابن عبد ربّه ما يلي:

«وقّع **أردشير** في أَزْمة عمّت المملكة: مِن العدل أن لا يفرح الملك ورعيتُه مَحزونون. ثم أَمر ففرَّق في الكُور جميعَ ما في بُيوت الأموال»[٢].

كما نعلم أن **أردشير** اشتهر في التاريخ بالملك العادل الساساني، فتوقيعه هذا يُثبت ما ادّعاه المؤرخون، إذ إن من مظاهر العدالة هو أن لا ينسى الحاكم رعيّته حينما تعمّهم أزمةٌ أو بلاءٌ.

وما رواه ابن عبد ربّه عن **كسرى بن قباذ (كسرى أنوشروان)** وهو أنه «رَفع رجل إلى كِسرى بن قُباذ رُقعة يُخبره فيها أنّ جماعة مِن بطانته قد فسدت نياتهم وخبُثت ضمائرهم، منهم فلان وفلان. فوقَّع في أسفل كتابه: إنما أملك ظاهرَ

---

[١] _ العاكوب، *تأثير الحِكَم الفارسية في الأدب العربي في العصرالعباسي الأول*، ص ٢٥٦و ٢٥٧.

[٢] _ *ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج٤، ص ٥٨.*

الأجسام لا النيات، وأحكم بالعدل لا بالهوى، وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر»[١].

فإن التوقيع هذا خير دليل على عدالة الملك وانصافه، إذ ليست من العدالة أن يحكم الحاكم على نوايا الأشخاص وما يكتمون في ضمائرهم.

و**أنوشروان** العادل وقدسبق الحديث عنه قد وقّع إلى صاحب خراجه:

«ما استُغزر الخراج بمثل العَدْل، ولا استُنزر بمثل الجَوْر. ووقّع في قصة رجل تَظلّم منه: لا يَنبغي للملك الظلم، ومِن عنده يُلتمس العَدل، ولا البُخلُ، ومن عنده يُتوقَع الجُود؛ ثم أمر بإحضار الرّجل وقَعد منه بين يدي المُوبَذ[٢]. ووقّع في قصّة محبوسٍ: مَن ركب ما نُهي عنه حيل بينه وبين ما يشتهي. ورَفع إليه بعضُ خَدمه رقعةَ يُخبره فيها بكثرة عِياله، وسُوء حاله، فَعرف كذبه، فوقَّع: إنّ اللّه خَفّف ظَهرك فثقّلته، وأحسن إليك فكَفرته، فتُب إلى الله يَتُبْ عليك. ووقع في قصّة رجل سَعى إليه بباطل: باللسان احفَظ رأسَك. ووقّع في قصة رجل ذَكر أنّ بعض قرابة المَلك ظَلَمه وأخذ مالَه: لا تَصلح العامّة إلا ببَعض الحَيْف على الخاصة، فإن كنتَ صادقاً أبحتُك جميع ما يَملكه. فلم يتظلّم بعدها أحدُ من قرابته»[٣].

يظهر مما سبق أن الملوك الأكاسرة كانوا يقصدون بتوقيعاتهم إزالة الظلم من المجتمع، حيث تسود فيه الحكمة والعدالة، وعيش المجتمع في محبّة ووداد.

---

[١] _ *المصدر نفسه*، ص٥٨.

[٢] ــ فقيه الفُرس.

[٣] _ *المصدر نفسه*، ص٥٨.

هـ-البلاغة وكتابة الرسائل

قد خلّف الملوك الساسانيون جملةً من النصائح الموجهة إلى كتّابهم ليتمكَّنوا من أمر البلاغة في الكتابة، ومن هذا القبيل ما ذكره ابن عبد ربّه عن **أبرويز** حيث يقول لكاتبه:

« اعلم أنَّ دعائم المَقالات أربع، إن التُمس لها خامسة لم تُوجد، فإن نقص منها واحدٌ لم تتمّ، وهي سُؤالك الشيء، وأمرك بالشيء، وإخبارك عن الشيء، وسُؤالك عن الشيء. فإذا طلبت فأسجح، وإذا سألتَ فأَوضح، وإِذا أمرت فأحكم، وإِذا أَخبرت فحقِّق. وأجمع الكَثِير مما تريد في القَليل مما تقول. يريد الكلام الذي تَقِل حروفه، وتَكثر معانيه»[١].

وثمة إيحاءات من هذه الحكم في نصائح الأدباء العرب إلى روّاد المعرفة والثقافة تشير إلى المكانة السامقة للحِكَم الفارسية في نفوسهم واهتمامهم بها وشعور الكاتب بالغرور لاطلاعه على منهج الحِكَم الفارسية. وقد ذكر ابن عبد ربّه في هذا الموضوع ما روي عن إبراهيم بن المدبر حيث استبانه أحدهم أسباب البلاغة واستكشفه غوامض أدوات الكتابة وجاء في وصية له قوله:

« فإنْ كان لا بُدّ لك من طَلَب أدوات الكِتابَة فتَصفّح من رسائل المُتقدّمين ما يُعتمد عليه، ومن رسائل المُتأخّرين ما يُرْجَع إليه، ومن نوادر الكلام ما تَستعين به، ومن الأشعار والأخبار والسِّير والأسمار ما يَتَّسع به مَنطِقُك، ويطولُ به قَلَمك، وانظر في كتب المقامات والخُطب، ومُجاوبة العَرَب، ومعاني العجم، وحُدود

[١] _ *المصدر نفسه*، ج٢: ٣٠

المَنْطق، وأمْثال الفُرس ورسائلهم وعُهودهم وسِيَرهم ووقائعهم ومَكايدهم في حُروبهم»[١].

نستنتج من هذه الحِكَم الفارسية أن الأندلسيين كانوا يعتبرون الحكم الفارسية وسيلةً مؤثرةً لتثقيف المتأدبين. وهذا يدل على المكانة المرموقة التي احتلّها الأدب الفارسي في نفوسهم.

الخاتمة

تبيّن لنا من خلال هذا العرض الموجز أن ابن عبد ربّه ألّف موسوعةً ضخمةً جمع فيها مختلف الحضارات، ولم يغفل عن الحضارةَ الفارسية الباهرة رغم بُعد المسافة الجغرافية والتاريخية بين البلاد الفارسي والأندلسي. وتجسدّت لنا صورة الفُرس في مرايا "***العقِد الفريد***" لمؤلِّفه الأديب الشهير الأندلسي ابن عبد ربّه، وأنه كيف يعرّف الشعب الفارسي، وخاصةً ملوكهم بأنهم مِن أصحاب الحكمة وعمق التفكير في مجالات الحياة السياسية والاجتماعية المختلفة.

كما تبيّن لنا أنه قدّم صورة للحضارة الفارسية العريقة بعيدة عن العنصرية أو التعصب كاشفاً عن نضجهم العقلي وسداد رأيهم.

صوّر لنا ابن عبد ربّه البيئة الساسانية بأنها بيئةً تهتمّ بالجهود العقلية وتوليد المعاني الحكيمة وتتسمّ صورته المقدَّمة بالموضوعية، ومن المسلَّم أنه ليس من المبرَّر أن ندّعي أن الدولة الساسانية ــ شأن أي دولة أخرى ــ كانت بعيدة كل البعد عن المساوئ الاجتماعية والسياسية، إلا أن ابن عبد ربّه ــ وهو أديب ملتزم

[١] _ *المصدر نفسه*، ج٤: ١٨.

بالأخلاق الإسلامية الجميلة ــ يلزم نفسه بالابتعاد عن تشويه وجوه الآخرين خاصة الشعوب الأخرى، فأخذ منهم صفاتهم الكريمة ونقلها إلى الأجيال التالية لئلا يؤدي إلى سوء تفاهم بين الأمم والثقافات لاسيما المسلمين بكل قومياتهم.

قائمة المصادر والمراجع

أ: المصادر العربية

١–ابن عبد ربّه الأندلسي، شهاب الدين أحمد. ***العِقد الفريد***. تقديم: أستاذ خليل شرف الدين. منشورات: دار ومكتبة الهلال. ١٩٨٦م.

٢–ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم. ***عيون الأخبار***. دار الكتب: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. ١٩٦٤م.

٣– الأصفهاني حمزة بن الحسن. ***تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء***. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة. ٨٩٣ــ٩٧٠م.

٤–اكبري، مريم. ***صورة الفُرس في ديوان أبي نواس***. رسالة ماجستير. جامعة أصفهان. ١٣٨٧ش.

٥–بدوى، أمين عبد الحميد. ***صلات بين أدبي الفُرس والعرب***. مجلة الدراسات الأدبية. السنة الرابعة. العدد الأول. بيروت: الجامعة اللبنانية. ١٩٦٢م.

٦–البغدادي، عبدالقادر بن عمر. ***خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية***. دون مكان الطبع. د.ت.

٧–الثعالبي، أبومنصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل. ***ثمار القلوب في المضاف والمنسوب***. تحقيق: الدكتور قصي الحسين. بيروت: دار ومكتبة الهلال. ٢٠٠٣م.

٨–الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب. ***البيان والتبيين***. قدم لها وبوبها وشرحها: علي أبو ملحم. بيروت: دار ومكتبة الهلال. ١٩٩٢م.

٩-الحاكم النيسابوري، الحافظ أبو عبد الله. ***المستدرك على الصحيحين***. بيروت: دار المعرفة. د.ت.

١٠-حمود، ماجدة. ***صورة الفُرس في كتاب البخلاء للجاحظ***. مجلة الموقف الأدبي. العدد ٣٥٤.. اتحاد الكتاب العرب بدمشق. ٢٠٠٦م. الموقع:
http.//www.awn-dam.org/mokifadabr/354/kokf003.htm

١١-زيدان، جرجي. ***تاريخ التمدن الإسلامي***. بدون مكان للنشر. ١٩١٤م.

١٢-صبحي كبّابة، وحيد. ***الأثر الفارسي في شعر البحتري***. أبحاث ندوة العلاقات الأدبية واللغوية العربية ــ الإيرانية. اتحاد الكتاب العرب. ١٩٩٩م.

١٣-صفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك. ***الوافي بالوفيات***. الطبعة الثانية. بيروت: دار صادر. ١٩٩١م.

١٤-العاكوب، عيسى. ***تأثير الحِكَم الفارسية في الأدب العربي في العصر العباسي الأول***. دمشق: طلاس للدراسات والترجمة والنشر. ١٩٨٩م.

١٥-عباس، إحسان. ***تاريخ الأدب الأندلسي،*** عصر *سيادة قرطبة*. الطبعة الثالثة. بيروت: دار الثقافة. ١٩٧٣م.

١٦-فرّوخ، عمر. ***تاريخ الأدب العربي***. بيروت: دار العلم للملايين. ١٩٦٩م.

١٧-القلقشندي، أبوالعباس أحمد. ***صبح الأعشى في صناعة الإنشاء***. القاهرة: المطبعة الأميرية. ١٩١٣م.

١٨-المبرّد، أبوالعباس. ***الكامل في اللغة والأدب***. تحقيق: جمعة الحسن. بيروت: دارالمعرفة. ٢٠٠٤م.

١٩-المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على. ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***. بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار المعرفة. ١٩٦٤م.

٢٠-النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب. ***نهاية الأرب في فنون الأدب***. السِّفر الخامس عشر. القاهرة: مطبعة دارالكتب المصرية .١٩٤٩م.

ب: المصادر الفارسية:

۱−خسروي، زهرا. ***شعر شكار در ادب عربی با نگاهی به شعر نخجیرگـــانی فارســـی.*** تهران: انتشارات امیر كبیر. ۱۳۸۳ش.

۲−داهیم، إبراهیم. ***خسرو پرویز در جنگهای بیست وهفت ساله ایران وروم.*** چاپ سوم . انتشارات گلریز.۱۳۷۶ش.

۳−كریستین سن، آرتور. ***ایران در زمان ساسانیان.*** ترجمه: رشید یاسمی. تهران: دنیای كتاب. ۱۳۷۲ش.

۴−علي بن أبي طالب. ***نهج البلاغة.*** ترجمه: علامه محمد تقی جعفری. تهران: دفتر نشر فرهنگ اسلامی. ۱۳۷۸ش.

۵−هرودوت. ***تاریخ هرودوت.*** چاپ سوم. تلخیص و تنظیم ا.ج.اوانس. ترجمه وحید مازندرانی. تهران: انتشارات علمی و فرهنگی وابسته به وزارت فرهنگ و آموزش عالی. ۱۳۶۲ش